

كل ذي قول يوزد الأدلة على تأييد رأيه لكان للجاهل ان يشك في بلاغته لانه علم ان أهل الشأن اختلفوا فيها وهو غير قادر على الترجيح . والامر في القرآن على غير ذلك فقد أجمع بلغاء العرب من آمن منهم ومن لم يؤمن على اعجازهم وكذلك العلماء العربية الذين أخذوها بالصناعة فلم يبق للجاهل عذر بعد العلم بان هذه مسألة لاتزاع فيها عند العارفين بهذا الشأن والله أعلم

باب التبرير والتعلم

مضار تربية النساء الاستقلالية

كتبنا من قبل في بيان مضار استقلال النساء بتربيتهم كترية الرجال وإقناعهم بأنهم مساويات لهم من كل وجه فان هذا أمر مخالف لسان الفطرة التي ينها دين الفطرة في كتابه السماوي فقال « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » أي ان المساواة بين الزوجين واجبة في الحقوق مع حفظ حق سيادة المنزل للرجل . وقد أوردنا الشواهد والامثلة عن أهل أوروبا لاسيما نساء الانكليز على وجوب جعل المرأة تحت سيادة الرجل وعلى كون التربية عندهم صارت تعارض ذلك . وقد رأينا منهم شاهداً جديداً في هذه الايام وهي ان النساء الكاتبات الفاضلات اللواتي تربين وتعلمن في هذا العصر طفقن يكتبن في الجرائد منتقداً شاكيات من تربية بناتهن تربية جعلت همهن محصوراً في الزينة والولوع بصرف الاوقات في المتزهات حتى صار يثقل عليهن مساعدة أمهاتهن في تدبير المنزل . وقد نقل المقطم نبذة من ذلك الى العربية عنوانها (حرب سجال) نوردناها هنا تأييداً لقولنا وهي

« في انكلترا الآن حرب أقلام نار مجاجها على صفحات الجرائد الانكليزية بين الامهات وبناتهن ورب قلم احد من السنان وامضى من الحسام . وقد كانت الامهات البادئات بالمداء فان أما منهن رأت من بناتها تقصيراً في قضاء الواجبات المنزلية المفروضة عليهن وميلاً الى عصيان كل أمر تصدره اليهن فهاها طغيانهم وتها ملهن وضائق ذرعا من كبح جاجهن فاستعانت بالجرائد وبعثت برسالة الى احدي الجرائد المشهورة

بامضاء « أم خاتبة الامل » وهذا نصها بعد الدياحة
 « أريد أن أعلم آراء قراء جريدتكم في هذه المسألة . فان لي ثلاث بنات عمر
 الصغرى منهن ١٧ والكبرى ٢٦ وقد تعلمن في مدارس معروفة وأكثرن دروسهن
 ولزمن البيت . وزوجي متقاعد منصبا حسنا فلا حاجة بهن الى احترام حرفة يرزقن
 منها . ولكن أملي بهن خاب لما يبدين من الميل الى الحرية والاستقلال فبدلا من
 ان يساعدنني ويتفكرن في تراهن لايتفكرن في غير أنفسهن وملاذهن كالالماب
 الرياضية وغيرها مما هو خارج عن دائرة الاشغال المنزلية ويكرهن البقاء في المنزل ايام
 استقبال الزائرين ورد الزيارات مهي قائلات ان ذلك من قبيل اضاءة الوقت وهن
 يسخرن باذواقهن ويمددهن اذواقا قديمة ليست حسب الاذواق الحديثة ولا يزلن
 يتعلمن الموسيقى الى الآن فيقضين نصف النهار في التمرن عليها

« هذا وانني استأريد معارفتهم في كل شيء ولكنني أريد أن أعلم ان كانت بنات
 الناس كذلك ومما استحسنه فيهن استمماهن لمات زقاقية وعبارات الغلو والمبالغة في
 حديثهن . فهل توافقني سائر الامهات على ان هذه هي (مودة) هذا الزمان
 وكان هذه الرسالة جرات الامهات على ما لم يجترئن عليه قبلها فبعثت بالرسائل تباعا
 الى ادارة الجريدة يشكون امورا كثيرة يأتها بناتهن مما ينكرنه عليهن . فذكر بعضا
 لتفكهم قالت احدها :

« اني وافق على كل ماقلته صاحبة الرسالة الممضاة بامضاء « الام الخاتبة الامل »
 فاننا كنا فينا في « الهوى سوى » وان للبنات حرية زائدة هذه الايام في العمل والكلام
 فاذا قاطعن انتمن لانفسهن برد جوابات فيها ما فيها من الصلف والوقاحة . وهذا
 اختيار أم أخرى خاب أملها . وقالت غيرها :

« اخشى ان ما تشعرون به (الأم الخاتبة الامل) يكون مطابقا لشعور الامهات في جميع
 العالم وهو دليل على انحطاط الشعوب القديم من نحو المائة وانتشار « المودة » الجديدة
 وهذا آفة على التهذيب القديم الذي كان امهاتنا يتقنن به قوة تأثيره فينا » وقالت أخرى :
 اني اشرك الام الخاتبة الامل في ما تراه وتشعرون به واقول ان تمر البنات شر متفاهم
 تشعرون الامهات بضرره الشديد . فان الامهات حاولن تربية بناتهن على مثل ما رين

عليه أيام كانت الحشمة الحقيقية نائمة عن رقة الشمور واحترام الآخرين . ولكن تلك الافكار امست قديمة بمثابة الآن فبات البنات لا يحترمن امهاتهن ولا يخضعن لهن . بل يعلمن ما يردن غير مكترئات لآراء والديهن . فها هي نتيجة ذلك ياترى . وكيف تربي أولئك البنات أولادهن «تق زوجن»

هذا مثال الرسائل التي أرسلها الامهات يترضن فيها على سلوك بناتهن وواقفهن أخ أرسل رسالة بامضاء «أخ مشهتر» قال فيها: إن هذا العصر هو ما يسمونه عصر «التقدم» و«تساوى الجنسين» وغير ذلك من الاسماء فكانت نتيجته «المرأة الجديدة» التي نراها الآن بهيوبها الكثيرة:

وما كادت هذه الرسائل تنشر حتى استشاطت البنات حنقا وارسلن الرسائل تترى الى الجريدة المذكورة جوابا على شكاوى الامهات ونصرهن بعض الآباء والامهات كما سيأتي . وهاك أجوبة بعض البنات قالت احداهن بامضاء «أبنة مضطربة» «أنا ابنة مدركة سن الرشد وأحوالي على ما وصفت «الام الخائبة الامل» في رسالتها ولا شيء يسرني مثل مساعدة والدتي على تدبير المنزل وتخليصها من همومه الكثيرة ولكنها لا تعتمد علي في عمل من أقل الاعمال لانها تعتقد ان لأحد يحسن عملا الا اذا كانت يدها فيه وهي تراقب عمله . وعاليه عدلت عن الاهتمام بتخليصها من غناء الاشغال والاعمال المنزلية لاني وجدت الاهتمام يضيع سدى . فكيف تؤمل الامهات ان تثق بناتهن بهن مادمن لا يتقن بناتهن وهل يستغرب من البنات الاهتمام بما هو خارج البيت اذا كنا لا نجدن فيه من يهتم بهن ويمظف عليهن»

وكتبت بنت كتابا طويلا بالاصالة عن نفسها والنيابة عن اخواتها قالت فيه ما ملخصه: «ان معظم بنات هذه الايام يقضين عدة سنوات في المدارس يلعبن فيها ألعابا مختلفة لترويض أجسادهن ومتى خرجن منها ودخلن البيت ينتظر أمهاتنا منا ان نكون رفيقاتهن وان لانعمل عملا سوى الاهتمام بشؤون المنزل فستان ما بين جلوسنا في غرفة الاستقبال نسمع انتحاب أمهاتنا وزائراتهن من فساد أمر البنات في هذا الزمان وحديثهن الدائم عن الخدمة والخدمات وبين التزء على ضفة النهر أو لعب الألعاب الرياضية «ولسنا نقصد أن نكون محبات لأنفسنا وتقضي العمر بالتمتع بنعيم هذه الحياة فقط بل

اننا ندخل البيوت مشتاقات الى مساعدة امهاتنا مستعدات لتعلم الاعمال والاشغال البيئية
ولكنا نريد ان نقوم بالواجب علينا على الطريقة التي نحبها ونهواها . فكل يوم نرى
شيئا جديدا نحب اقتباسه وادخاله الى منزلنا ولكن امهاتنا يمارضنا بدلا من ان يوافقنا
على اذواقنا قائلات ان المسج لا يعجبنا واننا لا نستحسن شيئا في البيت بل نجد عيبا
في كل شيء ونرى منازل الآخرين احسن من منازلنا، مثال ذلك ان اكثر البنات، ومات
بترتيب الازهار التي توضع على مائدة الطعام وفي غرف الاستقبال فيرتبها وينظمنها
على اذواقهن ولكن امهاتهن يفتنمن فرصة غيابهن ويقمن بين تلك الازهار الجميلة
المتسقة ازهار اذات الوان لا توافق الذوق السليم فيضيع تعب البنات سدى

«واكثرنا ينتظر بسرور محبي اليوم الذي نصبح فيه ربات منازل مستقلة فنكسر
هو، ناوم شاغنا وياتي دورنا للزيارات وردها فلماذا هذه المعجزة الآن»

أما الامهات اللواتي اتضرن لبناتهن فهن أم كتبت كتاباً بامضاء (أم مسرورة
شكورة) قالت فيه «لما قرأت كتاب «الام الحائبة الامل» حزنت عليها فقد صرت بي
سنوهم وشقاء من شراسة زوجي ولكن بنتي كانت تمزيقي وقوتي على احتمال مصيبي
وقد عرض كثيرون من الاصدقاء والاقارب ان يأخذوها معهم في أسفارهم لتتزمه ومشاهدة
هذا العالم واتهموني بحب الذات لاني لا أسمح لها بالابتعاد عني ولكنني اؤكدهم انني لم
اجبرها على عمل شيء بل تركتها تفعل ما تشاء»

ومنهن أم كتبت رسالة بامضاء (أم راضية) قالت فيها: «ان لي اربع بنات لا يتأخرن
عن مساعدتي حينما اشاء ولكنني لا اطرب منهن الشيء الكثير لان للشباب مطالب لا يصح
الاعضاء عنها فبعض الامهات يطالبن من بناتهن امورا كثيرة وقلمنا يخطر ببالهن ان الانساب
والملاهي لازمة لهن وعندني انه يكفي البنات ان يشتغلن بجمع الازهار وتنسيقها وترتيبها
ونفض اثاث البيت من الغبار الا اذا اضطرت الحال الى اكثر من ذلك»

أما الاب الذي انتصر للبنات فقد عدل في حكمه ولم يجبر فاعترف باهال البنات وتطر فهن
ولكنه نسب ذلك الى اهال الامهات حيث قال: لو عرفت الام الحائبة الامل كيف تعلم بناتها
عمل الواجب عليهن لما احتاجت الى كتابة رسالتها فان البنات يربين هذه الايام ربية
مطلقة من كل قيد وبمطبخ كل ما تشتهي نفوسهن . فينكر الوالدون أنفسهم حبايبن

واكهن لا يفهم من معنى انكار النفس فيشيين وقد تعودن طلب كل شيء بالامر والنهي كأن هن حتماً شرعياً فيه بدلان ان يطلبنه طالبهن للمعروف ، فاي حق لفتاة -تها ١٧ سنة في الاعتراض على شيء من الاشياء انما يجب عليها ان تفعل ما يطلب منها واما الام اب فاذا رأى الوالدون اقل ضرر منها لم يصعب عليهم منع أولادهم من لعبها بالامتناع عن إعطائهم الدراهم لشترى لوازمها ويحسن بهم ان يهدوا تلك الالعب الى ذوي السالك الحسن من أولادهم ويسودوهم ان يحصلوا عليها بتبصم بدلاً من ان يأخذوها ككأنها حق طبيعي من حقوقهم : « اه المراد وتبي في المقطم قول لبعض الشعراء اهلنا

(المنار) يجب أن تربي البنت لتكون زوجة ، ويجب ان تكون زوجة لتكون أما . وهي لا تكون زوجة الا اذا أراد الرجل ، ومن مصلحة الرجل ان تكون زوجته أما ، ولا تصالح ان تكون أما الا اذا تربت على الاعمال المنزلية وتربية الاطفال . والمدرسة الطبيعية التي تربيها وتعلمها اعمال الامهات هي بيت أبيها الذي تدبر أعماله أمها ، فالبنت التي ترى الحرية والاستقلال يبيحان لها ترك البيت ومصرف الاوقات في الملاهي والمنزهات ومخالفة والدتها في ما تأمرها به بلسان المقال أو بلسان الحال من القيام بالامور المنزلية هي كالتمليذ الذي يستبيح ان يترك المدرسة اذا شاء ويتعلم فيها ما شاء ويعصى تأطرها واساتذتها متى شاء . فمن يقول ان هذا التلميذ يفلح في اتباع هواه فليقل ان تلك البنت تفلح في اتباع هواها غلط الا فرنج في محاولة جعل النساء كالرجال في تمام الاستقلال ومغبة غلط الامم لا تظهر الا بعد زمن طويل وها هو قد نجمت نواجه في قلة انفسل وفي افعال النساء والبنات البيوت اهلها يفسد شأنها وفي كثرة طلب الطلاق وفي قلة التزوج والاستغناء عنه بانفسق . ومن أعجب أنواع هذا الظهور شكوى الامهات من البنات مع شدة حبهن لهن وعنايتهن برفاهتهن وراحتهن ومع مبالفتهن في إظهار محاسنهن واحفاه مساويهن . ولا بد ان تحمل هذه المضرات القوم على تدارك الامر والاجتهاد في جعل البنت تحت سيطرة أمها وأبيها في البيت ليكون ذلك مقدمة لسيطرة تزوجها عليها من غير ان يتقل ذلك عليها

اماما قرأت من مدح بعد الامهات لبناتهن فهو موافق لا تنقاد الشاكيات من الحرية وتمام الاستقلال . هكذا تظهر الحوادث بعد تجارب القرون ان تهذيب القرآن وتعاليمه فوق كل تهذيب وتعليم ، وما فلك الا لانه تنزيل من لدن حكيم عليم .